مقدمـــة

كانت الواقعة التي أثرت في نفسي ، اكثر ما يكون التأثير ، ذلك الصيف من عام ١٩٤٨ ، ان الانباء والتعليقات الخاصة بحرب فلسطين كانت متحيّزة تحيزاً كاملاً . فقد بدا وكأن الصحـــف جميعاً كان لها مراسلون يمدونها بأحداث القتال من تل أبيب . كان صوت اسرائيل قوياً جداً في الولايات الاميركية المتحدة ، امـا صوت بلاد العرب فكان صامتاً .

وكانت هذه الواقعـــة أبرز ما كانت في زوايا الشوارع في مانهاتان * . فهناك نُصبت مكبرات الصوت على السيارات الكبيرة او على المنابر ، وراحت تخور متوسلة الى الاميركيين ان «يعطوا دولاراً ليقتلوا عربياً» . وأحسب ان ذلك هو الذي دفعـني الى ان اتخذ قراري . فقد أبدع العرب — وهذا ما كنتُ اعرفه من قبل — مدنيةً وحافظوا على حضارات . اما اليهود فلم يوفقوا الى شيء من ذلك البتة . وأنشأتُ اراجع الصحف والمجلات . فليس من شك في انها كانت مشوقةً الى الوقائع المتصلة بتلك الحرب .

---

* جزيرة في مدينة نيويورك عند مصب نهر الهودسون. ويبلغ عدد سكانها نحواً من مليوني نسمة . [المعرب]

ولكنْ انّى لها ان تعرف الحقيقة اذا لم تُلمّ بوجهة النظر الاخرى المقابلة لوجهة نظر الصهيونيين ؟

وفي ذلك الحين كنت اعمل في «المعهد الآسيوي» في نيويورك، وهدفاً لسهام الصهاينة ورجال الفكر الموالين للصهاينة . وعندما اعلنت ان العرب ينبغي ان تكون لهم وجهة نظرهم الخاصة في المشكلة، ثارت من حولي ضجة مغضبة تصمّ الآذان، وسجل ضغط الدم عندي ارتفاعاً ملحوظاً . وواضحٌ اني لو بقيتُ في نيويورك إذن لما كان ثمة مفر من وقوع واحد من أمرين : إما ان اسمح لنفسي ولمبادئي أن تغرق في تيار يهود نيويورك الغامر الثائر، وإما ان أتسلح بقذائف قاتلة وأهاجم مكبرات الصوت ، معرّضاً نفسي للاعتقال والسجن .

وحين أطلعني احد الاصدقاء على اعلان كتَبَهُ ودَفع اجوره، في اغلب الظن ، «بن هشت» - إعلان يقول انه كلما قتلت عصابة شترن جندياً بريطانياً أو رجلاً عربياً « اقام اليهود عيداً صغيراً في قلوبهم » طفح الكيل ولم اعد أطيق صبراً . كانت ذكرى «مشروع مورغانتاو»* لإبادة المانيا بسبب من سوء تصرف رجل نمساوي مضطرب العقل** لا تزال عالقةً علوقاً كريهاً في ذهني ، وكان الصهاينة يعملون على تضخيمها وتكثيفها.

صحيح ان اليهود لم يكونوا كلهم مسؤولين عن ذلك . فليس

---

* هنري مورغانتاو الصغير ، ناظر المالية الاميركية من ١٩٣٤ ـ ١٩٤٥ [المعرب]

** يقصد أدولف هتلر . [المعرب]

يغيب عن بالي ذلك الاعلان الذي استغرق صفحة بكاملها من «نيويورك تايمس» والذي ناشد الرئيس ترومان ان يفكر ملياً قبل ان يقدم على الاعتراف بدولة اسرائيل. وانا أدري ان مئات من اليهود، حتى في مدينة نيويورك، ما كانوا يعطفون على حركة* بدت لي وهمية وهستيرية كوباء مرض الرقص السنجي (خوريا) الذي اجتاح اوروبة في القرون الوسطى.

وعلى الرغم من تلك الدعاية الظمأى الى الدم فقد أبيت على نفسي أن اتعصّب لأيّ من اليهود او العرب. ولكني كنت مشوقاً الى معرفة الحقيقة. وكنت قليل الثقة بالمستقبل الهادىء الوادع كما صوره رجال السياسة عندنا، وكان مستقبل الشرق الاوسط يهمني شخصياً. ولقد أكدت لي نظرة الى جواز سفري أنه ما تزال امامه سنة أو نحوها قبل ان يبلغ أجله ويفقد فعاليته، وكان كل مابقي عليّ ان اعمله قبل القيام برحلتي الى الشرق الاوسط ان اكفل الحصول على شيء من المال يمكنني من تغطية نفقات الرحلة.

ولم يكن ذلك شيئاً هيناً. والواقع اني حين أعلنت اصدقائي في الصحيفة وفي اذاعات الراديو بما عزمت عليه من السفر، اكدوا لي ان في ميسوري ان اوقع عدداً من العقود الصحفية يعود عليّ بمكافأة سخية — الى ان اكتشفوا اني اعتزمت ان أوجّه وجهي شطر الدول العربية. عندئذ غدت أقوالهم متحفظة حيية، وخبا شوقهم وخمد. صاروا يقولون: ولكنّ هناك عدداً كبيراً

* المراد الحركة الصهيونية. [المعرب]

من مراسلي الصحف الاميركية في الشرق الاوسط، وان وكالات الاخبار تزوّدهم دائماً بأوفى الانباء، وأن ثمة ازمة حادة في الورق... وعلى اية حال، فاذا ما كنتُ اصرّ على الاحتفاظ بهذه الانطباعة على وجهي فهناك ينشأ الاعتراض من شعبة الادارة. إذ كيف تستطيع الصحيفة ان تحصل على الاعلانات من المحالّ والمؤسسات اليهودية اذا نشرت مادةً فيها ضربٌ من التأييد للعرب؟ واذكر أني غمغمت بكلام يدور حول حرية الصحافة والرأي التي نعتز بها، ولكن لم يكن ثمة – على الرغم من ذلك – متسع للافاضة في الحديث، فبرحت الجريدة مدحوراً.

واياً ما كان، فقد التمعت اماضة من أمل عندما وافقت احدى محطات التلفيزيون على ان تشتري مني بعض الافلام التي اسجلها في رحلتي تلك، لقاء ثلاثة دولارات للقدم الواحد، وأكدت لي ان في استطاعتي ان اطمئن الى اني سأبيعها مئة قدم على الاقل، كل اسبوع. وكان ذلك كل ما احتاج اليه. فما كان مني الا ان اخذت سلفةً من المحطة، واشتريت بطاقة سفر، في اليوم التالي الى البصرة.

وآثرت سفينة بطيئة الى حد معقول لاسباب عديدة. أولها اني كنت ارغب في ان ألمّ بمجريات التاريخ المعاصر. فمنذ سنة ١٩٤٥، يوم كنتُ في آسية الجنوبية الشرقية – من الفيليبين الى تايلند* وهندونيسيا – وحتى الاشهر القليلة التي سبقت انسحاب البريطانيين من فلسطين وانا اكاد لا اعرف عن الاحداث

* سيام. [المعرب]

التفصيلية التي ادت الى اندلاع نار الحرب بين اسرائيل والدول العربية إلا قليلاً . وفيما عدا القباحة المثيرة التي تكشّف عنها الخطباء اليهود في زوايا الشوارع النيويوركية لم تكن تعتمل في نفسي عصبيةٌ خاصة . ولكنّ الاستماع الى خطب هؤلاء البرابرة كان نادراً ما يكسب المستمعين ويوقع في قلوبهم العطفَ على قضية اسرائيل .

وايّاً ما كان ، فقد كنت في سبيلي الى جزء من العالم لم تقع عيناي عليه منذ عشرين سنة تقريباً .

لورنس غرينوولد